أبعاد الشخصية الهامشية في القصة القصيرة السعودية

الباحثة/ منال بنت عبدالعزيز بن فهد الهونمل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد .

يرصد بحثنا أبعاد الشخصية الهامشية في القصة القصيرة السعودية؛ وذلك عبر تحديد مجموعة من الصور التي عرضتها هذه القصص، وما ترمز إليه، معتمدين على نماذج مختارة وهي: (الأعمال القصصية الكاملة، لإبراهيم الناصر الحميدان، وظهيرة لا مشاة لها، ليوسف المحيميد، ١٩٨٩م)

وتكمن أهمية الموضوع إلى إبراز أبعاد الشخصية الهامشية من خلال القصة القصيرة السعودية؛ بما تشمله من موضوعات، أو قضايا، أو أحداث، أو من يعيشون على هامش الحياة المدنية، سواء كانوا على المستوى المعنوي أو المادي، وعدم الاعتراف بحقوقهم الأساسية .

أبعاد الشخصية الهامشية في القصة القصيرة:

١-البعد المادي :

يتمثل في الجسم وصفاته الخارجية، "ويشمل المظهر العام والسلوك الظاهري للشخصية"[١]، حيث يعد جزءاً مهما في بيان الشخصية الهامشية ووضوحها، إذ يتمايز الكتاب باهتمامهم به فمنهم مَنْ يسهب في وصفه، ومنهم مَنْ يلمح أو يشير إليه، ومنهم مَنْ لا يتطرق له.

أ-الاتساخ:

يتميز القاص بالقدرة على تصوير الشكل الخارجي للشخصية الهامشية، ومنها اتساخ الملابس والأقدام وغيرها إذ تقود دلالات ذلك إلى فهم طبيعة الشخصية الهامشية، نقرأ: "**بقع الشاي موزعة على ثوبي الذي يغطي طرفه وجهي، ويفرج عن ساقين يعلوهما بياض عرق جاف ... انتصب بسرعة: عرفت أنه أنت حين رأيت قدميك "لم يعلق بشيء"، لأضيف "لقد اتسخنا كثيرا" . يصمت وأتابع: "ومدرس الجغرافيا قال أن ننظف أقدامنا**""[٢] يقوم الكاتب في هذه القصة بوصف فقير جائع قذر يتوزع الاتساخ على ملابسه وقدميه.

ولكن؛ ما الذي يمثله الاتساخ في هذه القصة؟ فهو يصور الشقاء والاضطهاد، ففي بقية القصة يكشف لنا عن الحرمان والشقاء والحياة الهامشية التي يعيشها هذا الطفل الفقير .

ب-النداء:

ارتبط في أذهاننا النداء بالألفاظ البذيئة التي تدلّ على عدم الاحترام واحتقار الشخص المنادى، وأنه منبوذ لذلك فهو يستحق هذا النداء، ويرجع كرهه للوضع الاجتماعي الذي يعيشه، وما يتلقاه من كدح وقمع وقهر فتشعر الشخصية الهامشية بالمهانة والإحساس المأساوي بسبب الذي تسمعه من

(١) فن كتابة القصة، ، حسين القباني، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص٧٠.

(٢) ظهيرة لا مشاة لها، يوسف المحيميد، الدار العربية للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ، ص٢٩- ٢٨ .

محيطها، من هذه الألفاظ: "**يا كلب... يا غبي**"،[١] "**يا قرد** "[٢]، "**يا حمار**"[٣]، "**يا فاجر**"[٤].

جـ-الإعاقة:

"الإعاقة تسبب نوعا من الحرمان الاقتصادي والاجتماعي لصاحبها مما يؤثر على المعاق نفسيا وجسديا وعاطفيا، وقد تدفعه دفعا للنأي جانبا بنفسه عن الغير"[٥]، فيُنظر إليهم بأنهم عجزة غير قادرين على العمل والمشاركة ومخالطة المجتمع فهم في عزلة عنه، مما ينتج عن ذلك إحساسهم بالدونية والخضوع والسلبية، فهم بحاجة إلى العناية النفسية والرعاية الصحية والاجتماعية، والإعاقات متعددة منها :

١- الإعاقة البصرية:

الشخص الكفيف هو الذي فقد حاسة البصر إما منذ ولادته، أو فقدها بعد الولادة، نقرأ:"**لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يقودني فيها أبي إلى ذلك الطبيب...فلم أكن قد تهيأت تماما لقبول فكرة الحياة هكذا مدى عمري دون أن استطيع إبصار ما تتحلى به الحياة من مرئيات ومستحدثات. وكيف يمكنني التصديق بأنني وأنا ابن الخمسة عشر ربيعا فقط سوف أقضي بقية رحلة الحياة هكذا كفيفا..؟**"[٦]، في هذا المشهد يمثل لنا الحالة التي يعيشها الصبي بعد فقده نعمة البصر، وفي بقية القصة يصور معاناته في تقبل الواقع المرير، وكيف له أن يقوم بما يعمله في السابق من إمساك الكتب وقرأتها، وانتقاء ثيابه .

"إن عوالم الأعمى مجهولة لا يستطيع جلبها واستحضارها-غالبا- إلآ من عاش الظلام وهو عالم يضج بالحواس المتعاضدة عدا البصر"[٧]، رغم أنه أعمى البصر لكنه ليس بأعمى البصيرة، التي تجعله يبصر الأشياء من حوله بحواسه

(١) ظهيرة لا مشاة لها، ص٣٥ .

(٢) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٤هـ-١٤٢٥هـ، ص٢٤٦ .

(٣) المرجع السابق، ص٥٨٩ .

(٤) المرجع السابق، ص٢٨ .

(٥) تمكين الفئات المهمشة، أحمد عبدالفتاح ناجي، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٤٩.

(٦) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، ص٢٠٣.

(٧) تمثيلات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، الباحة، ط١، ٢٠١١م، ص٢٢٢ .

الأخرى، ومع ذلك فالمجتمع من حوله ينظر إليه بعين الشفقة والاستغراب مما يشعر الكفيف بالدونية والضعف .

٢ – الإعاقة الحركية:

هي الوظيفة التي لا يمكن للشخص المعاق القدرة على تحريكها سواء لطرف واحد أو أكثر من جسمه، إذا تمنعه من ممارسة الحياة الطبيعية كأقرانه الأسوياء، والتي غالبا ما تكون عن أسباب وراثية أو مكتسبة كالحوادث نقرأ في قصة (المسافر): "**أبصر بعربة صغيرة يدفع بعجلتها راكبها فتذكر سائق العربة الذي ربطته به زمالة سابقة... فاستأذن الرجل ومضى يدفع بعجلتي عربته إلى مقدمة القطار**"(١) نوع هذه الإعاقة الحركية هي عدم القدرة على السير على الأقدام والتي كان سببها أنه "**أصيب في حادث تصادم مروع ذهب ضحيته عدة أشخاص ، وكان نصيبه أن فقد كلتا قدميه**"(٢) .

٢ –البعد النفسي :

البعد النفسي والوجداني يسعى إلى إبراز الجانب العاطفي للشخصية بكل مكوناتها من الأحاسيس والمشاعر إذ "يعد جزءا صميما في تكوين أي شخصية إنسانية؛ إذ إن لكل إنسان مشاعره وأحاسيسه وطباعه وأفكاره، وهواجسه، وأزماته، وانفعالاته التي تترك بصمات واضحة على سلوكه وتؤثر في علاقاته بالآخرين "(٣)منها :

أ–الحزن:

يكشف لنا الحزن عن مكامن نفسية متزاحمة تحملها الشخصية الهامشية، ونرى ذلك جليّ في قصة (محدود الدم) إذ تحكي عن رجل فقير يشكو فقره وجوعه ومن الذين يريدون هدم منزله الطيني القديم الذي لم يبقى سواه في هذه المنطقة إذ يقول: "**وجوه تلمع في الظلام، وتظل –من حزن– مظلمة. مللت، مللت الوجوم. جوع يعتري أضلعي اليابسة، وقرص من الطين يسد جوفي.**

أشتهي حجراً أقتل به ضآلتي، وتأبى شفاه الواقفين البكاء، حين ناشدتهم:

---

(١) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، ص٣٤١ .

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٤ .

(٣) البناء الفني في الرواية السعودية، حسن حجاب الحازمي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م–١٤٢٧هـ ، ص٢٣١ .

- **لا نريد الطين** "[١] .

فهذا المقطع يكشف عن البعد النفسي للبطل، فيبيّن حجم المعاناة والصراع النفسي والحرقة والحيرة التي يعيشها، وقسوة الناس من حوله رغم معرفتهم بحاله "**كنا نعرفه، لحن قروي حزين. يحمل جراحه على كتفه كل صباح، إلى أين يصير ظل كل شيء مثله، حيث لم يعرف أن جيوبه شقوق يتسرب منها الزمن الذي مضى**"[٢] .

ب _القلق:

الإحساس بالقلق والاضطراب والتوتر يعني عدم الاطمئنان والراحة فهي من المشاعر النفسية التي تحملها الشخصية الهامشية إذ تبقى على ترقب وتوتر دائم تشعره الإرهاق ونلحظ ذلك في قصة (العودة إلى الحياة) إذ تخبرنا القصة عن شاب عاطل عن العمل " **كنت آنذاك بدون عمل .. أعيش على هامش الحياة وسفحها. أبي يرميني كل صباح بنظرة صاعقة ثم يتمتم بسخرية: أنت صعلوك صغير... عديم الفائدة**"[٣] فهو يشعر بالإهانة كل صباح من والده لأنه فاشل في نظره "**ألوذ بصمتي لقد أعتدت سماع إهاناته لي**"[٤] ثم يظهر قلقه " **فالحياة تكشف كل يوم عن جديد من وجهها الغامض فأضطر إلى التريث أو تعديل موقفي، فهي حينا مستساغة ماتعة، وأخرى جهمة عابسة بينما هي في أكثر الأحيان غامضة شاذة، ولازمني هذا الاضطراب عشرين عاماً**"[٥]، نلاحظ أن القلق لازم الشخصية مدة طويلة تفوق العقدين من الزمان؛ وذلك يرجع للحياة الهامشية التي عاشتها الشخصية وما عانت بها من مآس .

جـ–الارتباك:

الارتباك هو شعور يجتاح الشخصية أمام مواقف تستصعبها، ويظهر على شكل ارتجاف اليدين، وارتعاش القدمين والشفتين، وعدم القدرة على الحديث، ويحدث هذا للشخصية الهامشية بسبب الوضع الاجتماعي الذي تعيشه، وما يحصل لها من

(١) ظهيرة لا مشاة لها، ص٣٦ .

(٢) المرجع السابق، ص٣٧ .

(٣) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، ص٢٩١ .

(٤) المرجع السابق، ص٢٩٢ .

(٥) المرجع السابق، ص٢٩٣ .

مواقف تجتمع فيها مشاعر الخوف والقلق والتوتر، ومن ثم الارتباك الذي يفضحه أمام خصمه نقرأ: "**تحركت الشفاه الغليظة بصوت يغالبه بحة:**

–حين نسألك تجيب فقط.

وجهي ليس هو، وأقدامي ترتعش حتى كأن الشارع يخلو من عابريه، وعيناي تبحثان عن فرصة سريعة للركض ... حنجرتي تجف، أحدّق، وضوء الإشارة يتيح العبور"(١) .

فالبطل يصف شعور الارتباك الذي أصابه في أثناء الموقف، وذلك الشعور النفسي أتاه نتيجة للحياة الهامشية التي عاشها؛ فهو طفل فقير بائع صحف لدى رجل يمارس قوته وجبروته عليه "**يشعل ثقابا بيده التي لكمت ذات مرة ظهري الصغير، وعصرت شحمة أذني بقوة**"(٢)، فمن البدهي أن يصيبه ذلك الشعور نتيجة لانعدام الإحساس بالأمن والراحة، والشكوك الداخلي حول نفسه، والشعور بالذنب، والنقد المستمر له .

د–الخوف:

هو شعور ينتاب الشخصية الهامشية نتيجة انعدام الأمان، وإحساسها بالخطر الذي سيواجهها، وذلك خوفا من تعرضها للإهانة والإيذاء والضرب المهين، ونرى ذلك واضحاً وجليّا في قصة (الصبي البائس والعدالة) إذ تحكي لنا قصة طفل لم يتجاوز عمره الثانية عشرة سنة يعمل نادلاً في مقهى لدى رجل متغطرس يمارس عليه قوته، ويحكي لنا الراوي أنه رآه في حالة يرثى لها من الإرهاق والتعب، فأراد أن يخفف عنه، فسأله إن كان متعبا حتى يهم بمساعدته فرد الصبي بخوف و "**نفى أنه يشكو من أي مشقة، بل همس في ارتباك: أرجو ألا يسمع "المعلم" ما تعرضه عليّ من مساعد حتى لا يحرمني من أجري هذا اليوم، وربما طردني أيضا**"(٣) .

نرى الخوف مسيطراً على البطل في القصة من بدايتها حتى نهايتها، إذ ختمت القصة بصفعة مدوية أوقعت الصبي على الأرض وتمدد جسمه عليها وتطاير حذاؤه،

(١) ظهيرة لا مشاة لها، ص٢٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٢١ .

(٣) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، ص٦٢١ .

فمن خوفه لم يبد أي ردة فعل سوى أن "**اكتفى بأن أمسك بموقع الصفعة على وجهه والدموع تنهال من عينيه الكسيرتين**"[١].

٣- البعد الاجتماعي :

يسعى البعد الاجتماعي إلى إبراز القضايا الاجتماعية فهو "يشمل المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع، وظروفها الاجتماعية بوجه عام"[٢]إذ إن المركز والظرف الاجتماعي للشخصية الهامشية ذات أهميّة في رسم الشخصية وتصرفها وسلوكها وعلاقتها بالبيئة التي عاشت فيها .

و لقد انشغلت الشخصية الهامشية في ظل العنف الاجتماعي المتصاعد بهموم العيش اليومي حيث تسعى وسط هذا القهر لإيجاد لقمة العيش[٣]، وهذا ما نراه في قصة (الجريدة) إذ يعمل صبي في بيع الصحف لدى مالك المحل سالم اليماني فيمارس عليه القسوة والتعالي والظلم، ولم تقتصر هذه المعاملة من قبل صاحب المحل؛ بل شملت بقيت أفراد المجتمع، وذلك مع أصحاب السيارات إذ يتعاملون بالكبر والدونية مع هذا البائع الصغير، ومن هذه المواقف التي حصلت له، أن سيارة رياضية فارهة بها مجموعة من الصبية أوقفوه وأطالوا الحديث معه وأخذوا الجريدة منه، وأعطوه بدلا من الريالات"رذاذ بصقة"[٤]على وجهه، فنرى حالة الإحباط والانكسار على وجه هذا الصبي الفقير، وذلك لوجود التعالي والتكبر والطبقية الاجتماعية وما تقدمه من قسوة وظلم وتهميش لهذه الفئة، فالقهر الذي عاناه الصبي لم يقتصر على صاحب المحل فحسب، بل تعدى ذلك إلى بقية فئات المجتمع من الأغنياء وما دونهم .

أيضا من البعد الاجتماعي التمييز العنصري والقبلية وسلطة الماضي عليه والأنا المتضخمة، إذ إن (الهامشية في الواقع الاجتماعي) تنطلق دائما من الطبقية؛ فهناك الأثرياء وشيوخ القبائل وكبار الشخصيات والأمراء ثم عامة الناس؛ ثم إن عامة الناس هؤلاء يفرقون بينهم فهناك البدوي والحضري، فالبدوي ينظر للحضري بأنه هامشي والعكس صحيح، وهناك من يعتد بنسبه وينظر للآخر الذي ليس له نسب

(١) المرجع السابق، ص٦٢٢ .

(٢) فن كتابة القصة، ص٧٠-٧١ .

(٣) انظر: الرواية والعنف، د.الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، أربد، ط١، ٢٠١٠م، ص١٩٩ .

(٤) ظهيرة لا مشاة لها، ص٢٢ .

هامشي ، وهناك مسميات أخرى ظهرت بسبب العنصرية مثل: طرش البحر، وبقايا الحجاج، والأفارقة، والبلوش، والعمال، والأجنبي، فهذه الشخصيات هامشية في المجتمع حتى وإن كانت مؤثرة ووجودها ضرورة. بحكم أن المجتمع لا زال يعاني من ثقافة الماضي والتحجر وسلطة الماضي عليه؛ كما في قصة (عروس القرية) فأحد شخصيات هذه القصة رجل يعمل صيدلاني قدم من بلاده إلى القرية لفتح صيدليه، ثم تفاجأ بجهلهم فهم يرون أن هذه الأدوية والعقاقير الإفرنجية تدنس أرض وسمعة القرية مما دعاه ذلك إلى الهروب، "**فالصيدليات لم يكن لها وجود في قرية الشيخ راشد، مع أن بعض الشيوخ يتذكرون أن شخصا ذا لهجة غريبة وفد إلى القرية منذ أعوام وأبدى رغبته في فتح صيدلية حديثة تقوم بتركيب الأدوية على أساس علمي. ولكن أحدا هناك لم يسمع لمقالته، بل إنهم رفضوا حتى أن يؤجروه دكانا لإنشاء مختبره، وحجتهم في ذلك أن عذرية قريتهم الأزلية لا يريدون تدنيسها بمخترعات الفرنجة. وهكذا قوبل هذا الغريب بسخرية لاذعة جعلته يبيت ليلته في أحد المساجد؛ لأن أحدا ما لم يتطوع لاستضافته**"[1] .

فمهنة الصيدلاني وأخصائي المختبرات مهنة شريفة، وعمل مهم إذ يقوم بخدمة الجميع من كبير وصغير دون تردد فالكل بحاجته، بينما هو في نظر أهل القرية عمل هامشي لا فائدة منه إذ إن مهنة عطّاري القرية تسد مكانه! .

وهذه الظاهرة موجودة بصفة عامة في كل الأزمنة وكل البلدان، لكنها تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، فمثلا في العالم الآخر المتحضر نجد انتشار ظاهرة (الهوملس) وهم المشردون الذين لا مأوى لهم، حيث يقضون معظم أوقاتهم في افتراش الطرقات، فثيابهم رثّة وغير نظيفين ومتسولين ويشكلون خطراً على المارة والسكان والسياح؛ حيث أعتاد سياح تلك البلدان على وجود هؤلاء المشردين .

(١) الأعمال القصصية الكاملة، إبراهيم الحميدان، ص١٥٠ .